لغز المرأة

ليس من الغرابة في شيء أن نرى في المرأة لغزاً يصعب علينا حلّه. ولكن الغرابة كلّ الغرابة أن نتكلّم عن المرأة كما لو كانت اللغز الوحيد الذي أشكل علينا حلّه. فكأنّ شقيقها الرجل كتاب مفتوح لا يعوزنا لفهمه إلّا معرفة القراءة البسيطة. وكأنّ كلّ ما عداها من الكائنات ما بين ناطقة وعجماء، وحيّة وجامدة، أمور تافهة يكفينا لفهمها أن نتناولها بحاسّة من حواسّنا الخمس. لعمري إنّ ذلك منتهى السذاجة.

إن تكن المرأة لغزاً فلأن الرجل لغز. أو يكن الإنسان بشطريه المؤنث والمذكر لغزاً، فلأنّه يعيش في عالم كلّ ما فيه ألغاز. وأي شيء في هذه الأكوان ليس لغزاً للإنسان؟ أهي الأرض بشكلها وحجمها ودورانها الأبدي حول محورها وحول الشمس؟ أم هي نباتات الأرض وحيواناتها ومعادنها على اختلاف أصنافها؟ أم هو جوّ الأرض بما فيه من مجارٍ سرية للنور والفكر والشعور؟ أهو الزمان وأين يبتدىء وينتهي؟ أم هو الفضاء بكلّ ما فيه من عوالم لا